أكد أنها سنة مؤكدة ومن أعظم القُربات والطاعات

د.محمد الطبطبائي: الأضحية مشاركة وجدانية للفقراء والمسلمين

من هدي الرسول ﷺ في يوم عيد الأضحى، ذبح الأضحية التي تعلمنا التضحية والفداء والطاعة والتقرب الى الله بالطيب من القول والعمل، وتذكرنا الأضحية بقصة فداء الله تعالى لإسماعيل عليه السلام عليه السلام حين رأى أبوه ابراهيم عليه السلام انه يذبحه يقول الله تعالى: (وفديناه بذبح عظيم) وللأضحية شروط واحكام ينبغي الالتزام بها يوضحها لنا العميد السابق لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية د.محمد الطبطبائي من خلال هذا الحوار:

د.محمد الطبطبائي

حينما شرع الله تعالى لنا النحر أراد أن يذكرنا بطاعة إسماعيل لوالده إبراهيم عليهما السلام

العبادة الروحية لها مردود مادي ونفعي مباشر في حياة المسلمين

الذبائح فائدتها تعود على المجتمع كله ولا ينال الله منها شيء بل يناله تقوى الإنسان

فضل عظيم

ما فضل الأضحية؟

● سئل رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ فقال: سنة أبيكم ابراهيم، فقالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: بكل شعرة حسنة، قالوا فالصوف يا رسول الله، قال: بكل شعرة من الصوف حسنة، وعن أم المومنين عائشة رضي الله عنها قالت: ان رسول الله ﷺ قال:« ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، وانها لتأتي يو القيامة بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم يقع من الله بمكان قبل ان يقع على الأرض فتطيبوا بها نفسا»، ويتضح من ذلك ان الاضحية لها فضل عظيم وانها من افضل الأعمال يوم النحر لمن كان مستطيعا ان يضحي يوم النحر.

سنة مؤكدة

وما حكم الأضحية؟

● هي سنة مؤكدة للقادر عليها، فقد قال ﷺ: «أمرت بالنحر وهو سنة لكم» رواه الترمذي، وقال ﷺ «كتب علي النحر وليس بواجب عليكم» اي انها فرض على الرسول ﷺ وسنه في حق امته.

بعد الصلاة

وما وقت النحر؟

● بعد صلاة عيد الاضحى لأن الله رتب النحر بعد الصلاة في قوله تعالى: (فصل لربك وانحر) اي نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد اصاب السنة، ومن فعل غير ذلك فانما هي لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء، ومعنى من فعل ذلك أي انه يكون قد ذبح قبل صلاة العيد.

وهل هناك وقت محدد تنتهي فيه ذبح الأضحية؟

● وقت ذبح الأضحية ينتهي عند غروب شمس اليوم الثالث من ايام التشريق وهو رابع ايام العيد، وأيام التشريق هي يوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، وسميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الاضاحي، ويضعون لحومها معرضة للشمس عند مشرقها فتجف من شدة الحر ويحفظونها لحين استعمالها.

تقسيم الأضحية

وكيف تقسم؟ وممن تكون؟

● تقسم الاضحية ثلاثة اجزاء يتصدق بالثلث ويهدي الثلث لاقاربه وجيرانه واصحابه، ويأكل هو واولاده الثلث.

وان تكون من الضأن والماعز والابل والبقر، ويجزئ في الاضحية من الضأن ما كان عمره سنة كاملة، ويجزئ من الاضحية من الماعز ما كان عمره سنتين ويجزئ من البقر ما كان عمره سنتين ودخل في الثالثة، ومما ينبغي الاشارة اليه ان الشاه الواحدة من الضأن او الواحدة من الماعز تكفي عن واحد، اما البدنة من الابل فتجزي عن سبعة افراد، وكذلك البقرة تجزي عن سبعة افراد.

شرطان

وهل للضاحية شرط؟

● للاضحية شرطان، ان تكون قد بلغت من العمر ما يجعلها صالحة للاضحية وان تكون سليمة من العيوب التي تفسد اللحم وتجعله غير طيب او تنقص الوزن، وهذه العيوب يعرفها اهل الخبرة، ومن عيوب الاضحية المرض الشديد ادى الى هزلها وضعفها وفساد لحمها، والعوراء وهي التي زالت حدقة عينها او بقيت الحدقة ولكنها لا تبصر، والعرجاء والجرباء ومقطوعة الآلية او الضرع ومقطوعة الاذن.

المستحب

وما الذي يستحب عند الذبح؟

● يستحب التسمية لقول الله تعالى: (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) وفي البخاري ومسلم أنه ﷺ حين ذبح أضحيته قال: بسم الله، الله أكبر والصلاة على النبي، لأن الله تعالى رفع ذكره فلا يذكر اسم الله إلا ويذكر بعده، ويستحب توجيه الذبيحة إلى القبلة لأنها أفضل الجهات ولفعل رسول الله ﷺ، والتكبير، لما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ «ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيديه الشريفتين وسمى وكبر ووضع رجله الشريفة على صفحتها» يعني صدغها ويستحب الدعاء بالقبول وصيغته أن يقول المضحي «اللهم إن هذا منك وإليك فتقبل مني» لأن الرسول ﷺ قال عند ذبح الأضحية «اللهم تقبل من محمد وآل محمد».

منافع

ماذا عن منافع الأضحية؟

● من منافعها قول الله تعالى: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ففي الآية دلالات واضحة لمظاهر هذه المنافع المتعددة منها قول ابن عباس رضي الله عنهما، منافع الحج في الدنيا والآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله عزّ وجلّ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن (الإبل) في ذلك اليوم والذبائح والتجارات.

مشروع اقتصادي

كما يعتبر مناسك الذبح والهدي مشروعا اقتصاديا يحقق النفع البالغ للمحتاجين، فالذبح سواء كان نسكا من مناسك الحج ام كفارة لخطأ وقع فيه الحاج، ام تطوعا، فهو من النهاية يحقق المنفعة المباشرة للناس، والعبادة الروحية لها مردود مادي ونفعي مباشر في حياة المسلمين.

خير للناس

وكيف يستفاد من الأضحية؟

● نرى أن القائمين على مناسك الحج قد توسعوا في الاستفادة من الأضاحي عن طريق حفظها وتوزيعها على المحتاجين في بعض دول العالم الإسلامي، وقد أشار القرآن الكريم الى ان هذه الذبائح لا ينال الله منها شيئا، لكن فائدتها تعود على المجتمع كله، فقال تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الحج 36.

فانتفاع الناس بالأضاحي خير، وإعلان المناسك خير، وغرس معاني التضحية لله وللناس خير، وشكر النعمة بالإنفاق على عباد الله المُنعم خير، كل هذا خير لبني الإنسان، لأن الله عزّ وجل لن يناله من الإبل والماعز لحم أو وبر بل يناله التقوى.

طاعات وقربات

وما فضل يوم النحر؟

● ذهب الفقهاء الى ان ليوم النحر فضلا كبيرا لما شرع فيه من مناسك وعبادات، ولما يجعل به من طاعات وقربات ومن فضله ان فقهاء اطلقوا عليه «يوم الحج الأكبر» اخرجه ابوداود وصححه ابن القيم، ولما ثبت ان عليا وأبا بكر رضي الله عنهما اذنا بما جاء في الآية الكريمة سالفة الذكر يوم النحر ـ اخرجه البخاري ومسلم قال أئمة العلم: فيه تمام الحج ومعظم افعاله، من وقوف بالمشعر الحرام، ودفع منه لمنى ورمي ونحر وحلق وطواف افاضة ورجوع لمنى للمبيت بها، وليس في غيره مثله، ولأن الاعلام ـ الاذان المذكور في الآية ـ كان فيه.

حاشية ابن عابدين ـ 254، وذهب الفقهاء الى استحباب احياء ليلة النحر بالطاعات والقربات.

نوعان

وما أعمال يوم النحر التي تجب على الحاج؟

● هي نوعان الأول ما يخص الحاج، وإجمالا هي الوقوف بعد صلاة الفجر بالمشعر الحرام ثم الدفع الى منى قبل شروق الشمس ورمي جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات ونحر الهدي وجوبا للمتمتع والقارن وتطوعا لغيرهما بمنى والحلق للرجال اي لشعر الرأس والتقصير للنساء، وللرجال، وطواف الزيارة حول الكعبة سبعة أشواط وترتيب هذه الأعمال من باب السنة.

غير الحاج

وماذا عما يخص غير الحاج؟

● النوع الثاني لغير الحاج وهو التكبير المطلق الذي لا يكون في الصلاة او عقبها، كالتكبير في الطرق وفي انتظار الصلاة وأداء صلاة عيد الأضحى وفعل الأضحية والتي تشمل ما يزكي من الأنعام تقربا الى الله عزّ وجل، ايام النحر بشروط مخصوصة والتزاور يوم العيد، والتهنئة والغسل والتطيب والتزين المباح، والتكبير عقب الصلوات المفروضة فردا وجماعة والتوسعة على ذوي الحاجات والإكثار من الاذكار الشرعية، والحمد لله على نعمة الحياة بفداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم فكان الناس والتكاثر وعمارة الأرض.

إيمان إسماعيل عليه السلام وتسليم الأمر لله

لم تكن لسيدنا إبراهيم عليه السلام ذرية، وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا، ورحل إبراهيم عليه السلام الى مصر والتقى مع ملكها في ذلك الحين، وحدث بينه وبين فرعون في ذلك الوقت قصة خرج منها إبراهيم عليه السلام بجارية مصرية اسمها «هاجر» من إحدى قرى صعيد مصر لتكون أما ونسبا وصهرا بين اهل مصر ونبي الله إبراهيم، يؤكد هذا ما قاله رسول الله ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جندا فإن لنا فيها نسبا وصهرا».

وكانت السيدة سارة زوج إبراهيم الأولى عاقرا لم تلد واشتهت نفسه الولد ليرث عنه نبوته، وأراد الله عز وجل ان يحقق له أمنية في نفسه، فتزوج من الجارية هاجر وولدت له إسماعيل طفلا جميلا وضيئا ملأ عليه حياته وازداد اهتمامه به، وشاءت إرادة الله ان يأخذ الجارية وولدها ويهاجر بها الى بيت الله الحرام ليعمره ويكون مثابة للناس وأمنا.

وتوجه بأمر من الله الى أرض الحجاز ولم يكن بها بناء، وفي جوار الحرم الشريف جلس إبراهيم أياما ومعه زوجه وولده ثم اذن بالرحيل وودع الزوجة والغلام، فوقفت الزوجة وقالت: هل الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: اذن لن يضيعنا الله عز وجل.

الصفا والمروة

ورجع إبراهيم وترك الزوجة والغلام في ضيافة الرحمن وصدقت نبوءتها فلم يضيعها الله عز وجل رغم انه لم يكن بالمكان أناس ولا ماء ولا طعام ولا زرع ولا ضرع، ونفد ما كان معها من قليل الزاد والماء، وبكى الرضيع، وحزنت الأم على هذا واشتد عطشها، فنضب ضرعها فقامت تبحث عن الماء لعلها تجد ما تبل به ريقه، وقفت على الصفا ونظرت حولها ثم نزلت تهرول الى المروة شوطا وأشواطا، وهي تلتمس قطرة ماء لوليدها، لكنها لم تجد أمامها سوى السراب والأمل الذي كان يراودها كلما رأت لون السراب، سبعة أشواط، وهي ذاهبة آيبة، والغلام يضرب الأرض بقدميه ويشتد بكاؤه من العطش والجوع، وأمه تتوجه الى رب الأرض والسماء ان يجود لها بقطرة من ماء تروي بها ظمأ الصغير، وبعد الشوط السابع نظرت الى الأرض فوجدت الماء ينبع من تحت قدمي إسماعيل ثجاجا باردا حلوا، انه الماء تفجر من بئر زمزم ليحيا به إسماعيل وأمه، وتحيا به أمم من بعده الى يوم القيامة، وليكون شفاء للسقم وغذاء للجائع، تفجر الماء أمام السيدة هاجر ففتحت عينيها على فيض من الماء يسيل، وأخذت تضمه وتجمع الأحجار حوله وتقول لها: «زمي يا زمزم.. زمي يا زمزم» ولولا هذا لفاض الماء وملأ الوادي كله.

بناء البيت

وجاءت الطيور لتشرب وتجمعت حول الماء تروي ظمأها وتحيي بأجنحتها الوليد وأمه، وأقبلت القبائل من كل جانب تسكن هذه المنطقة تشرب من الماء وتقدم الغذاء للأم ووليدها، وشب إسماعيل عن الطوق وجاء إبراهيم بعد فترة يسأل عن ولده وزوجه فوجدهما في أمان الله وأمنه. وهنا جاء التكليف من الله ببناء البيت الحرام فوقف إبراهيم يبني ويساعده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وجمعت الحجارة من الجبال لترفع قواعد أول بيت وضع للناس، وأتم الله البناء وارتفع وأذّن ابراهيم قائلا: «ان الله كتب عليكم الحج فحجوا» وأسمع الله صوته كل من كان موجودا في ذلك الزمن حتى انه أسمع الأجنة والأرحام والذرية في الأصلاب، ومنذ ذلك الوقت والبيت محجوج ومقصود، يقصده آلاف الحجاج كل يوم ويتمنى كل مسلم ان يكون من الطائفين حول البيت العتيق استجابة لنداء إبراهيم عليه السلام.

أمر الله

وحينما تم البناء رأى إبراهيم عليه السلام انه يذبح ولده، قال تعالى (فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين).

ان هذا لهو البلاء المبين، إبراهيم الذي لم ير الولد قبل ذلك، يؤمر بذبحه، وهو الذي يتحسس وجهه ويقبل جبينه صباحا ومساء، ويرفع يديه بالليل والنهار طالبا من المولى ان يبارك له في إسماعيل عليه السلام يرى إبراهيم في المنام انه يذبح ولده بيده، وتكررت الرؤيا ثلاث مرات فتحقق ان المولى يأمره بذلك. وعزم إبراهيم، وصمم على التنفيذ استجابة لأمر الله عز وجل وقال للغلام: (يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى) فأجابه إسماعيل بإيمان لا يتزعزع (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فلما أسلما أمرهما الى الله وعزما على التنفيذ ناداه ربه (ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين، ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم).

الأضحية

وكانت نجاة إسماعيل نجاة للأمة ولأبناء المسلمين جميعا الى يوم القيامة، نعم لقد نجا إسماعيل من الذبح وامتن الله على الأمة كلها أمة التوحيد بنجاة أبنائهم من الذبح ولولا ذلك، لقدم كل مسلم ابنا من أبنائه أضحية على سنة إبراهيم وصبر إسماعيل عليهما السلام، وكانت الأضحية سنة على المسلمين لذلك في يوم عيد الأضحى المبارك يذبحها المسلم بيده بعد ان يكبر الله عليها ويفرق لحمها وجلدها على الفقراء اقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

ما أروع يوم الأضحى الذي يذكرنا نحن المسلمين بهذا الفداء وبهذه التضحية التي قدمها إبراهيم راضيا وامتثال إسماعيل صابرا لأمر الله وقضائه.

وهكذا يكون واجب المسلم ان يسلم أمره لله عز وجل، والله بعباده رؤوف رحيم.